جامعـــة عبـــد الرحمـــن ميـــرة كليـــة الآداب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس: **مناهج البحث الأدبي/** ماستر 1، تخصص أدب حديث ومعاصر

السّيميائية في النّقد الأدبي المعاصر:

في ماهية السّيميائية:

تعددت مصطلحات السيّميائية من باحث إلى آخر، فهناك من يقول بعلم العلامـــة وعلـــم الإشـــارة والسّـــيمولوجيا والسّـــيميوطيقا ... وغيرهـــا مـــن المصطلحات الدّالة على اعتبار العلامة اللّغوية بوصفها إشارة تدّل على أكثر من معنى، بمعنى تنظر إلى أنظمة العلامات بوصـفها أنظمـة رامـزة ودالـة، وهذه النظرة متجذّرة في الدّراسات اللّغويـة القديمـة قـدم الإنسـان، وفـي الحضارة الصينية واليونانية والرومانية والعربية، لكن هذه الملاحظات بقيـت أسيرة تجربة ذاتية لا ترقى إلى مستوى النّظر العلمي الموضوعي.

وقد بدأت السّيمائية تتبلور مع تقدّم العلم والعلوم الإنسانية حيث مـرّت بمراحل عديدة، وأوّل باحث قدّم مصطلح السّيميولوجيا هـو الفيلسـوف "ج، لـوك"، ولكـن هـذا العلـم لـم تكتمـل أجـزاؤه، بـل أثمـر ثمـاره فـي القـرن العشرين. تدرس السّيميائية العلامات في كنـف الحيـاة الاجتماعيـة، ونظـام الكون بكلّ ما يحويه من علامات ورموز، هو نظـام ذو دلالـة، أي السّـيميائية هي علم يدرس بنية الإشارات.

- تنظر السيميائية إلى العلامة اللّغوية بوصفها إشـارة مكثّفـة بالـدّلالات والإيحاءات، والسّيميولوجيا اهتمت بالعلامـات اللّغويـة **وغيـر** اللّغويـة في آن واحد، فالنظام السّيميولوجي قد يكون رسـما ليـس بالضـرورة أن يكون لغة، المهمّ أن يكون التعـبير بوسـاطة أنظمـة مـن العلامـات (لغوية وغير لغوية).
- ينطلـق البـاحث السّـيميوطبقي مـن الشّـكل أو الـدّوال لمسـاءلة المضامين أو المدلولات لفهم ما تخفيه الدّوال من إيحاءات، **والمهـمّ ليس هو الوصول للمدلولات في حدّ ذاتها**، وإنّمـا هـو **طريقة تأليف هذه المدلولات**، ومجاورة بعضها البعض، ويبقى النظـر فـي العلاقات المؤلفة لهذا الشّكل، وكذا وظيفة الوحدات والملفوفـات هـو ما تطمح إليه السّيمائية والسّميولوجيا والسّميوطيقا، وإن تعددت هذه المصطلحات فإنّ غايتها واحدة.

وهذه المصـطلحات شـهدت تجلّيـات محتشـمة فـي الدّراسـات التراثيـة القديمة، إلاّ أن التأسيس الحقيقي للسّيميائيات، قد ظهر بشـكل واضـح مـع

معنى (2)

العالم اللّغوي السويسري دي سوسير حيث تنبأ بظهور هذا العلم، وما قدّمه الفيلسوف الأمريكي **"تشارلز سندرس بيرس"** في حديثه عن العلامة والمؤشر والأيقونة، لقد حاول بيرس أن يقدّم من خلال نظريته طريقة في الفهم عن طريق **الاستدلال** (هو استخراج الجواب أو النتيجة بناء على معلومات معروفة مسبقا). حيث تحدّث عن الخلفية المعرفية وعلاقتها بالعلامة، لقد أعطى قيمة للخلفية المعرفية، التّي اصطلح عليها **بالمعارف القبلية**، هذه المعارف تساعدنا على تأويل العلامة وهذا هو منطق العلامة= السيرورة التّي لا تكون إلاّ بالخلفية.

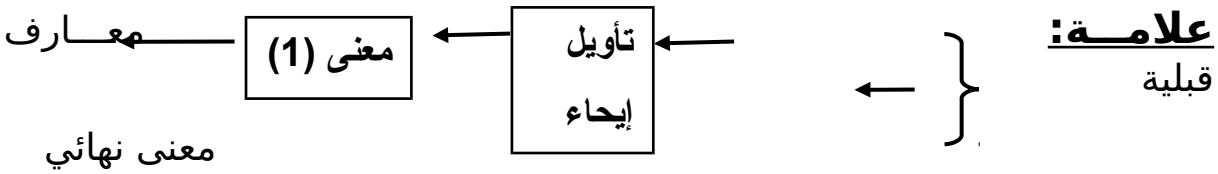

تبشير دي سوسير بالسّميولوجية:

إنّ تحليل دي سوسير للرّموز اللّغوية قاده إلى تصوّر علم جديد **سيدرس الرّموز غير اللّغوية،** في قوله «بوسعنا أن نتصوّر علما يتخذ موضوعا له دراسته حياة الرموز في رحاب الحياة الاجتماعية، ويصبح هذا العلم جزءا من علم النّفس الاجتماعي، وبالتّالي من علم النفس العام، ونحن نطلق عليه "السّيميولوجية" أو علم العلامات وندرس فيه كيفية تكوّن الرّموز والقوانين التّي تحكمها، ولمّا كان هذا العلم غير موجود حتّى الآن فلا يمكننا أن نقول كيف سيصبح، لكنّنا نؤكد أنّ من حقّه أن يوجد وأن مكانه محفوظ له مسبقا، وليس علم اللّغة إلاّ جزءا من هذا العلم العام، والقوانين التّي سيكتشفها علم العلامات هذا يمكن تطبيقها على علم اللّغة، وبهذا يحتل مكانة المحدّد في مجموعة العلوم التّي تدرس الوقائع الإنسانية المختلفة».

1) الأصول الفلسفية واللّسانية للسّيمائية:

أ) الأصول الفلسفية:

السّميائية أو السّيميوطيقا **علم موغل** في القدم، أيّام **الفكر اليوناني** القديم مع أفلاطون وأرسطو الذّين أبديا اهتمامهما بنظرية المعنى، وكذلك الرواقيين الذّين وضعوا نظرية شاملة لهذا العلم بتمييزهم بين الدّال والمدلول والشّيء، ولم يكن التراث العربي بعيدا عن مثل هذه المشاغل، فقد أولى المناطقة والأصوليون والبلاغيون والمفسّرون وغيرهم عناية كبرى بكلّ **الأنساق الدّالة**، وقد تجلى ذلك في أطروحات الفلاسفة الإسلاميين من أمثال الغزالي وابن سينا اللّذين تحدثا عن **اللّفظ بوصفه**

رمزا وعـن المعنـى بوصـفه **مدلولا**. كمـا خصّـص ابـن خلـدون فصـلا فـي مقدّمته لعلم أسرار الحروف.

السّـيمياء قـد عرفـت تجلّياتهـا الأولـى فـي كتابـات الفلاسـفة الغربييـن والعرب، وقد جاء ذلك في سياق حديثهم عن العلامة والدلالة اللّفظية، وقـد بقيت هذه الجذور السّيميائية معزولة عن بعضها البعـض، وتفتقـر إلـى أبنيـة نظرية تؤطّرها وتعيد تماسكها، لذا بقيت عاجزة عن بناء كيان تصوري يجعل منها **علما قائما بذاته.**

ب)- **الأصول اللّسانية:**

يعتبر دي سوسور أوّل علماء السّيميائية، فقد كانت نظريته في اللّغة مؤسّسة إلى حد كبير على فحص العلامة اللّغوية، إلاّ أنّ السّيميائية بأسسـها الحديثة كانت قد ظهرت في النصـف الأول مـن القـرن العشـرين بـدءا مـن العمل الذّي قام به المنطقي الأمريكي "شارل سندرس بيرس".

نشـأت السّـيميائية علـى أنقـاض اللّسـانيات، لكنّهـا تختلـف عنهـا لأنهـا تجاوزت البحث إلى العلامة غير اللغوية، فالنقـد السـيميائي كنشـاط فكـري خاص، يسعى دوما إلى تعزيز أرضـيتة تعزيـزا ألسـنيا، حيـث أضـحى حـديث سوسير عن ثنائيـة (الـدال والمـدلول) والعلاقـة بينهمـا، وكـذا خطيـة الـدّال والآنية (الوصفية)، وثنائية الظاهرة اللّغوية (لغـة/ كلام)، و (اختيـار/ تـأليف)، (صوت/ معنى)، (واقع/ خيـال)، (حضـور/ غيـاب)، وكـذا المحايثـة، كـلّ هـذه **الثّنائيات كانت بمثابة المقدّمات النظريـة** التّـي اسـتثمرتها المناهـج النّصانية في ولوجها عالم النّص الأدبـي، وتـأتي السّـيمائية فـي طليعـة هـذه المناهج، ويتجلّى ذلك في تركيزها على **القطب الدّاخلي للنّص**، هـذا مـا يضفي صفة الألسنة علـى النقـد السّـيميائي، ويتمظهـر البعـد اللّسـاني فـي البحث السّيميائي عند ثنائية **الدّاخل والخـارج**، وهـي الثنائيـة التّـي انبنـى عليها منطـق النّقـد الأدبـي الحـديث والمعاصـر، مـن خلال الانتصـار لقطـب الداخل الّذي انجرت عليه البنيوية والسّيميائية والأسلوبية ...الخ.

كان بحث سوسير يركّز على العلاقات التّي تربط بين الوحدات والعناصر اللّغوية، لأنّ قيمة كلّ عنصر تحدّد من خلال علاقته بالعناصر الأخـرى: «إذ لا يمكن فهـم وظيفـة الأجـزاء إلا فـي علاقتهـا الاختلافيـة مـع الكـلّ...»، وتعـدّ **فكـرة الهويـة العلائقيـة** ذا أهميـة فائقـة بالنسـبة للتحليـل البنيـوي والسّيميائي لأنّه عند صياغة قواعد النظـام مـن الضـروري أن نتعـرّف علـى الوحدات التّي تمارس فيها القواعد عملها، معربا عن القـوانين العامّـة التّـي تتحكـم فـي هـذه الرّمـوز، مشـيرا إلـى أنّ موضـوع اللّسـانيات الوحيـد هـو **دراسة اللّغة في ذاتها ولذاتها**، هـذه النّظـرة تبنّاهـا السـيميائيون فيمـا

بعد، في دراستهم للأحداث اللّغوية للنّص وما تزخر به عطاءات جماليـة فـي سياق العلاقات الاعتباطية والتّي تفرض دلالات لانهائية.

2/ التجليات النظرية للسّيميائية عند النقاد الغربيين:

أ) السّيميائية عند بيرس (1839- 1914):

يعدّ بيرس من النّقاد الغربيين الأوائل في التّأسـيس لعلـم السّـيميوطيقا أو علم العلامات، وقد ظهـر كتـابه «**كتابات حـول العلامـة**» قبـل كتـاب سوسير، محاضرات فـي اللسـانيات العامـة الصّـادر سـنة (1916)، ويتمثّـل منطق بيرس في **الرّبط بين المنطق والسّيميولوجيا**، وأشـار إلـى أنّ السّيميوطيقا تشغل فضاء أوسع من اللّسانيات، حيث يشـمل جميـع العلـوم الإنسانية والطبيعية، قال بيرس: «باستطاعتي أن أدرس كـلّ الظـواهر فـي الكون، كالرّياضيات والأخلاق، والميتافيزيقا والجاذبية الأرضـية، والديناميكيـة الحرارية والبصريات والكيمياء وعلم التّشريح المقارن، وعلـم الفلـك، وعلـم النّفس على أنّه نظام سيميولوجي».

وبهذا التصوّر تتحول السّيميائية إلى جهاز إجرائي غايته القصـوى البحـث في مختلف الأنظمة الدّالة (لغوية وغير لغويـة) وفـي مختلـف العلـوم سـواء كانت إنسانية أو عقلية، لأنّ بيرس أدرك أنّ هـذه العلـوم جميعـا هـي علـوم قائمة على مبدأ الإشارة أو العلامة.

العلامة في أطروحات بيرس هي كيان **ثلاثي المبنى** وليس ثنائي كمـا هو الأمر عند سوسير (العلامة= دال+ مدلول).

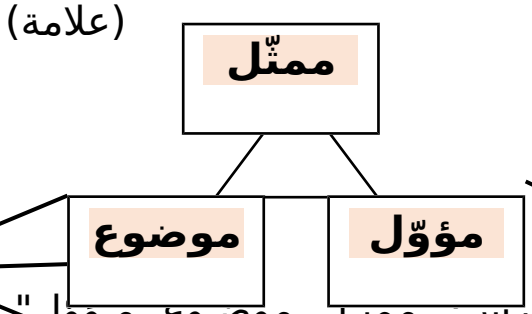

- Icon "أيقونة"
- Index "مؤشر"
- Symbol "رمز"

- فالعلامة عند بيرس: "ممثل، موضوع، مؤول"، وهنـاك تقسـيم آخـر يطلق عليها بيرس المصطلحات التّالية: أيقونة، مؤشّر، رمز.

أ) ا**لأيقونة**: هي علامة تحيل إلى الشّيء الذّي تشير إليه بفضل صـفات تمتلكها خاصّة بها وحدها، فالأيقونة تقوم على علاقة التشابه بينه وبين ما يدّل عليه، مثل الصّورة الفوتوغرافية والصور التمثيلية الشّخصية.

ب) **المؤشر**: علامة تحيل إلى الشّـيء الـذّي تشـير إليـه، اسـتعار بيـرس اسم المؤشر من السبّابة والمشيرة التّي تحيـل إلـى الشّـيء المشـار إليه في الواقع.

ت) **الرّمز**: إنّ العلاقة بين الرّمز وما يدلّ عليه تستند أساسا إلى العرف الاجتماعي، مثال ذلك ما اصطلح على اللون الأبيض وغصن الزيتون فيما يمثّلان رمزا للسّلام، فالرّمز بهذا التصوّر هو العلامة العرفيّة.

مثال: **صورة الموناليزا**: (تحليل جيرارد دولودال).

1- ممثل: شكل، ألوان ... 1- **مؤشّر:** صورة امرأة.

2- موضوع: صورة امرأة من طبقة معيّنة يقابله 2- **أيقونة**: تشير إلى أنّها

3- مؤول: الحزن في المرأة 3- **ترمز** إلى نقص الحنان...

* يتوصّل **جيرارد دولودال** إلى أنّها صورة أمّة، فهو يحبّها لدرجة غير عادية تعبّر عن عقدة نفسية يعاني منها الكاتب، وهي صورة أمّة مندمجة مع صورة ملكة.

- الأيقونة: العلاقة بين الدّال والمدلول تقوم على التّشابه (مثل الصورة).
- المؤشّر: العلاقة بين الدّال والمدلول تكون سببيّة (الدّخان يشير إلى النّار).
- الرّمز: العلاقة بين الدّال والمدلول تكون علاقة عرف اجتماعي أو تواضع اجتماعي.

لعلم السّيميوطيقا عند بيرس ثلاثة فروع:

الفرع الأوّل: نحو نظري (النّحو الخالص).

الفرع الثّاني: المنطق الصّرف.

الفرع الثالث: البلاغة الخالصة.

وبهذا يتحوّل النحو بعطاءاته النظرية والمنطق بعطاءاته الفكرية والفلسفية والبلاغة بعطاءاتها الجمالية إلى مادّة طيّعة تتغذّى منها مختلف المقاربات السّيميوطيقية بمفهومها البيرسي، حيث تتظافر هذه العلوم لتقتلع ما في النّص الأدبي من لآلئ جمالية.

المراجع المعتمدة:

1- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale

2- أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنغراد.

3- صلاح فضل، نظرية البنائية.

4- محاضرات في مقياس المناهج النقدية المعاصرة، إعداد: د. وهيبة جراح، المركز الجامعي ميلة.

5- عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي.

—